

أضواء البيان

@ 327 خَلَقَ اللَّهُ سَدِيدَ سَمَآوَاتٍ طَبَاقًا . .

الوجه الثاني : أنها قيل لها طرائق ، لأنها طرق الملائكة في النزول والعروج ، وقيل : لأنها طرائق الكواكب في مسيرها ، وأما قول من قال قيل لها طرائق لأن الكل سماء طريقة ، وهياة غير هياة الأخرى وقول من قال : طرائق ؟ أي مبسوطات فكلاهما ظاهر البعد ، وقوله تعالى : { وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ } قد قدمنا أن معناه كقوله { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ } لأن من يمسك السماء لو كان يغفل لسقطت فأهلكت الخلق كما تقدم إيضاحه وقال بعضهم { وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ } بل نحن القائمون بإصلاح جميع شؤونهم ، وتيسير كل ما يحتاجون إليه وقوله { وَالْقَدْرُ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَدِيدَ طَرَائِقَ } يعني السموات برهان على قوله قبله { ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُدْعَوْنَ } لأن من قدر على خلق السموات ، مع عظمها فلا شك أنه قادر على خلق الإنسان كقوله تعالى { لَخَلْقُ السَّمَآوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } وقوله تعالى : { أءَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِدَنَاهَا } . وقوله : { أَوْلَايَسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَآوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ } والآيات بمثل هذا متعددة . .

وقد قدمنا براهين البعث التي هذا البرهان من جملتها ، وأكثرنا من أمثلتها وهي مذكورة هنا ، ولم نوضحها هنا لأننا أوضحناها فيما سبق في النحل والبقرة . والعلم عند الله تعالى .

7 ! . ! 7

قوله تعالى : { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنْ نَزَّآ عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَاقِدَارُونَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه أنزل من السماء ماء معظماً نفسه جل وعلا بصيغة الجمع المراد بها التعظيم وأن ذلك الماء الذي أنزله من السماء أسكنه في الأرض لينتفع به الناس في الآبار ، والعيون ، ونحو ذلك . وأنه جل وعلا قادر على إذهابه لو شاء أن يذهب فيهلك جميع الخلق بسبب ذهاب الماء من أصله جوعاً وعطشاً وبين أنه أنزله بقدر أي بمقدار معين عنده يحصل به نفع الخلق ولا يكثره عليهم ، حتى يكون كطوفان نوح لئلا يهلكهم ، فهو ينزله بالقدر الذي فيه المصلحة ، دون المفسدة سبحانه جل وعلا ما أعظمه وما أعظم لطفه بخلقه . وهذه المسائل الثلاث التي ذكرها في هذه الآية الكريمة ، جاءت مبينة في غير هذا الموضوع .